"The Female Character and its Relationship with the Narrative Components in the Novel 'Samar Al-Layali' by Nabil Suleiman

Rana Amir Duwai*

(Received 31 / 6 / 2024. Accepted 15 / 8 / 2024)

□ ABSTRACT □

This research is concerned with studying the female character in the novel by the writer Nabil Suleiman, "Samar Al-Layali", especially since the novelistic text needs different types of characters that influence the events of the novel, and work hard to accelerate the movement of events and develop them, and this in turn prompts critics to launch some qualities that determine the ranks of these characters, especially since these characters are known for their relationships with other characters, in addition to the contents and references that form them.

Keywords: The novel, the personal, Feminism, place, time, language

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Master- Faculty of Arts and Humanities - University of Tishreen - Latakia – Syria** rana.duwai@tishreen.edu

الشّخصيّة النّسائيّة وعلاقتها بالمكوّنات السّرديّة في رواية " سمر الليالي " لنبيل سليمان

رنا أمير دواي*

(تاريخ الإيداع 31 / 6 / 2024. قبل للنشر في 15 / 8 / 2024)

ملخّص

يُعنى هذا البحث بدراسة الشخصيّة النّسائيّة في رواية الكاتب نبيل سليمان " سمر الليالي" ، لاسيما وأنّ النصّ الروائيّ به حاجة إلى أنماط مختلفة من الشخصيّات التي تؤثّر في أحداث الرواية، وتعمل جاهدة على تعجيل حركة الأحداث وتطويرها، وهذا بدوره يدفع النقّاد إلى إطلاق بعض الصّفات التي تحدّد مراتب هذه الشخصيّات خصوصاً ، وأنّ هذه الشخصيّات تعرف بعلاقاتها مع غيرها من الشّخوص، فضلاً عن المضامين والمراجع التي تكوّنها .

الكلمات المفتاحيّة : الرّواية ، الشّخصيّة ، النّسائيّة ، المكان ، الزّمان ، اللغة .

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

*ماجستير – كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة تشرين- اللاذقية- سورية

مقدمة

لمّا كانت الرواية تهتمّ بالإنسان وبقضاياه، فإنّ دراسة الشخصيّة الروائية وعلاقتها بغيرها من عناصر السرد الروائي، هي وسيلة للتعرّف على الموضوعات الإنسانية، وعلى فكْر الكاتب ورؤيته للحياة. وتعدّ الشخصية من العناصر المهمّة التي يُبنى عليها نجاح الروائي، فهي الركيزة الأساس في العمل الروائي، بل إنّ من النقّاد مَنْ عدّ الرواية (فنّ الشخصية)؛ لأنها مدار الحدث، إذ لا يمكن أن يكون هناك سردٌ أو قصٌّ ما لم يتمركز حول شخصية ما.

أهميّة البحث وأهدافه :

حاول هذا البحث متابعة الشخصيات النّسائيّة في أدب نبيل سليمان الروائي في روايته "سمر الليالي " إذ لم يجد عنايةً واهتماماً من الباحثين ، وكان هذا دافعاً لدراسة الشخصيات النّسائيّة وعلاقتها بالمكوّنات السّرديّة في هذه الرواية.

لا يدّعي الباحث في هذا البحث، أنّه قد جاء بجديد حول الشخصية الروائية، ولكنّه يؤكّد أنّ جديده يتحقّق في تناوله الشخصية النّسائيّة في رواية نبيل سليمان " سمر الليالي " .

وفي ضوء هذه الأهمّية، اعتمدنا دراسة الشخصيّات النّسائيّة في رواية " سمر الليالي " لنبيل سليمان ، إذ وجدنا في روايته نماذج لشخصيّات نسائيّة تفي بغرض الدراسة. فشخصيّاته النّسائيّة تتباين في أدوارها وطبيعتها وأهميّتها في دفع عجلة الحدث الروائيّ إلى الأمام.

وقد حاول هذا البحث دراسة الشخصيّات النّسائيّة التي وجدت في رواية " سمر الليالي " لنبيل سليمان ، سواء في إطارها الفكري أو الفنّي، مصنّفاً هذه الشخصيات ومن خال وظيفتها ودورها في النصّ رئيساً وهامشيّاً.

منهجيّة البحث :

يتّخذ البحث المتعلّق بدراسة العناصر السّرديّة من المنهج الوصفي المستند إلى نظريّة السّرد منطلقاً له ، فهو يوظّف مقولات السّرديّة محاولاً تحليل النّصّ الأدبيّ بصورة موضوعيّة تنطلق من داخل النّصّ الأدبيّ ، وهذه الدّراسة الوصفيّة تقوم على ملاحظة الظّاهرة ووصفها ثمّ تحليلها ثم استخراج النّتيجة وتعميمها ضمن الحدود المناسبة لذلك .

المقدّمة :

يصعب النّظر إلى الشّخصيّة الرّوائيّة بمعزل عن المنظور الرّوائيّ، ومضمون العمل، ومؤشّراته. وهو ما يمكن للدّارس أو القارئ عموماً أن يستشّفه لدى استذكار روايات اطّلع عليها وأعجُب بها. فالشّخصيّة مهما كانت فاتنةً أو مميّزةً أو غريبة الأطوار فإنّ حياتها، أو حضورها مستمدٌّ من نجاعة التّصوير، ومن عمق المنظور الرّوائيّ، ولا حياة للشّخصيّة ولا أثر لها بعيداً عن المكوّنات الأخرى للعمل الرّوائيّ.

إنّ الرّوائيّ يختار شخصيّته انطلاقاً من نماذجَ إنسانيّة خَبِرَها وعاينها بصورة من الصّور، لا بدّ أن تشبه الشّخصيّة شخصاً ما ذا وجود في الحياة الواقعيّة للكاتب، لكنّ التّأثّرات في هذا المجال واسعة، فقد يكون الكاتب قد سمع بها مجرّد سماع من الآخرين، وقد تكون شخصيّةً سينمائيّةً أو مسرحيّةً تركت أثراً غائراً في نفسه، ولعلّها تكون شخصيّةً تمظهرت له في أحلامه، ومغزى ذلك أنّ هناك مصادر قد يعيها الكاتب، وقد لا يعيها، ويكون مصدرها ذاكرة غائرة أو عالم اللّاوعي.

تظهر قضايا النّصّ الرّوائيّ من خلال شخصيّات الرّواية ، وإتقانهم للأدوار المطروحة إليهم ، وإنّ الرّوائيّ النّاجح هو من يبدع في صنعه للشّخصيّة الرّوائيّة المكتملة في خياله من حيث الإحساس، والحركة، والانفعالات، والملامح الشّكليّة، فكثيرٌ من الكتّاب يستعيرون شخصيّاتهم من الواقع ، ويصنعون مزيجاً من الخيال والحقيقة ، " فكلّ شخصيّة تحكي عالمها ودوافعها النّفسيّة، والإكراهات الاجتماعيّة التي حاكت شخصيّتها" [1].

الملخّص السّرديّ لرواية سمر الليالي:

الرّوائيّ نبيل سليمان هو أحد أبرز أدباء سوريا ؛ إذ تتميّز رواياته بالصّدق في نقل حقيقة الحياة، وهذا ما سنجده في روايته "سمر الليالي" التي تحكي سيرة معتقلات سياسيّات ، ملقية الضّوء على ما يحدث داخل السّجون والمعتقلات، وما تلاقيه هؤلاء الفتيات من صنوف التّعذيب وألوانه وفنونه؛ ممّا يؤدّي إلى تغيّر مجرى حياة كلّ واحدة منهنّ ، وعبر سيرة كلٍّ من ريّا وشهد ولويز ولبيبة ، وأخريات غيرهنّ، سنتعرّف على الأحوال الاجتماعيّة و السّياسيّة المتردّية في ظلّ الأنظمة القمعيّة التي تصادر الحريّات وتكمّ الأفواه ، ممّا يؤدّي إلى انعدام الأمن والاستقرار وسيطرة الفوضى، وستأتي الأحوال الاجتماعيّة في الطّابور الخلفيّ للأحداث، مشيرةً إلى أنّ تردّي الأوضاع الاجتماعيّة ما هو إلّا نتاج طبيعيّ لتلك الأوضاع السّياسيّة.

تقدّم الرّواية رؤيا عن واقعٍ اجتماعيّ ، وتسعى إلى هجاء مظاهر النّفاق الاجتماعيّ والسّياسيّ والدّينيّ ليبرز رؤياه ، إنّما نستشعر ذلك كلّه من خلال قراءتنا للرّواية ، رؤيا عميقة تسلّط الضّوء على المخابرات وأجهزتها ، وتفضح ممارساتهم ، رؤيا سياسيّة اجتماعيّة واقعيّة للعالم .

جاءت الرّواية في خمسة أسمار ، وكلّ سمر بمثابة الفصل ، سوى أنّ هذه الأسمار تضجّ بملامح للمجتمع عبر ما تسرده من عيش الشّباب في المجتمع خاصّة في نهاية القرن العشرين في الفضاء العربيّ.

الشّخصيّة النّسائيّة :

كثرت شخصيّة المرأة في روايات نبيل سليمان لما لها من دور رئيس فاعلٍ في بناء رواياته فنجد شخصيّة الأمّ ، والحبيبة ، والمناضلة ، العاملة ، المثقّفة ، المعلّمة ، وقد ركّز نبيل سليمان في تصوير شخصيّاته النّسائيّة على وصف صفاتها الجسديّة ، ومفاتنها بما يخدم توجّهات الروائيّ في روايته ، وكذلك ركّز تصويرصفاتها الانفعاليّة على تمرّدها ، وتحرّرها وجرأتها ووعيها ومعاناتها وثقتها وقوّة شخصيّتها وعلاقتها بالرجل وموقفها منه ، ودينها وعلمها ومزاجها وخبراتها الحياتيّة وذكائها وهدفها في الحياة .

والقارئ لروايات نبيل سليمان يلحظ احتفاءه بالصّفات الانفعاليّة للشّخصيّات النّسويّة ، ولا سيما تلك التي تظهر تمرّدها وثقافتها وعلاقتها مع الرّجل ، كما يلحظ حرص الرّوائيّ على بناء شخصياته النّسوية في كلّ رواية على نحو متنوّع ومتقابل ، تساعد القارئ على المقارنة بينها ، وتمنحه القدرة على استنباط الأفعال الإيجابيّة مقابل الأفعال السّلبيّة لها .

الشّخصيّات في الرّواية :

تمثّل الشّخصيّة الحكائيّة مكوّناً مركزيّاً في السّرد الرّوائيّ ، فهي " مدار المعاني الإنسانيّة ، ومحور الأفكار والآراء العامّة" [2] ، وتشغل موقعاً مهمّاً في البنية الرّوائيّة ، وتأتي أهميّتها من كونها عنصراً أساسيّاً من عناصر اهتمام الفنّ

---

[1] **ينظر : معتصم ، محمد : بناء الحكاية والشّخصيّة في الخطاب الرّوائيّ النّسائيّ العربيّ ، دار الأمان، الرّباط ، ط1 ، 2007م ، ص 178.**

[2] **هلال ، محمد غنيمي : النّقد الأدبي الحديث ، دار العودة ، بيروت 1987 ، ص562 .**

الرّوائي بتصوير المجتمع الإنسانيّ الذي يشكّل الشّخص العمود الفقريّ فيه ، والقوّة الواعية التي يدور في فلكها كلّ شيء في الوجود ، ومن كونها أيضاً " العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده العناصر الشّكليّة الأخرى كافّة بما فيها الزّمنيّة والمكانيّة الضّروريّة لنموّ الخطاب الرّوائيّ واطّراده " [3] .

إنّ الشّخصيّات المعالَجة في النّصّ الرّوائيّ مستقاة من واقع تاريخيّ اجتماعيّ محدّد ، من خلال أفعالها وأقوالها وأنماط تفكيرها ، فهي تعيش مع شخصيّات أخرى ، تتفاعل وتتعلّق بها ، وهذه الشّخصيّات صورٌ لغويّة وتعبيراتٌ عن عالم اجتماعيّ متكامل ، حتّى أنّنا نستطيع أنْ نجد هذه الشّخصيّات في الواقع الذي نحيا فيه ، بأسمائها وأفعالها ، إلّا أنّ النّصّ الرّوائيّ ، يعيد إنتاج هذه الشّخصيّات وفق الرّؤية الجماليّة والإيديولوجيّة للكاتب الذي استطاع من خلال شخصيّات الرّواية أنْ يقدّم لنا رؤيته للمجتمع كما يراه .

قدّم نبيل سليمان هويّة متكاملة لشخصيّاته الروائيّة ، فقد بثّ سماتِها الجسديّة ، والنّفسيّة ، والاجتماعيّة، والأخلاقيّة ، والثقافيّة هنا وهناك في ثنايا فصول الرواية ، والشخصيّة الرّئيسة هي ريّا حسّان العيد التي تمثّل البطل النموذجيّ الذي ينتمي إلى مجتمع تنعكس صورته في الرّواية .

تركّز الرّواية على شخصيّة "ريّا" و"شهد"، مع أنّهما لا تنتميان إلى حزب معيّن، فالشّخصيّة الرّئيسة " ريّا" مُدرّسة لمادّة التّاريخ في الثّانويات، تربطها علاقات شخصيّة ببعض الحزبيّين والحزبيّات من المعارضة اليساريّة والإسلاميّة، وكلّ جريرتها إذن هي هذه العلاقات ، وحرصها الصّريح على الدّفاع عن أصدقائها وانتقاد خصومهم، وهو الجرم الذي لم يغفره لها رجال الأمن.

و شخصيّة "شهد" و " لويز " و" لبيبة " شخصيّاتٌ ثانويّة في الرّواية ، ولعلّ اختيار الكاتب شخصيّاتٍ نسائيّة من هذا النوع لمكان الصدارة في روايته، أن يكون اختياراً مقصوداً يهدف للإشارة إلى أنّ النّظام الحاكم لا يفرق كثيراً بين العاملين المنظّمين في أحزاب المعارضة والآخرين العاملين في المرافق العامّة، دونما انتماء حزبيّ ، فالجميع مدانون في نظر النّظام ويحاسبون بالمعيار ذاته، والأساليب عينها، ما داموا يحملون أفكاراً متشابهة. وهذه الشّخصيّات النّسائيّة ، نتعرّف عليها في ثنايا الرّواية التي قسّمها الرّوائيّ نبيل سليمان إلى أسمار ، وكلّ سمر يحيل إلى ما ترويه هذه الشّخصيّات النّسائيّة .

فالسّمر الأوّل : ليالي ريّا .

السّمر الثّاني : ليالي شهد .

السّمر الثّالث : ليالي شهد وريّا .

السّمر الرّابع : لياليهنّ .

السّمر الخامس : لياليها : لياليا .

ريّا حسّان العيد: مدرّسة تعلّم التّاريخ وتتعلّمه ، وهي شخصيّة مستقلّة لا تنتمي لأيّ اتّجاه سياسيّ ، تتعرّض لعدّة اعتقالات لمجرّد الاشتباه بها ، فهي تصاحب بعض الشّخصيّات المشبوهة " اعتقلتموني أوّل مرّة وحقّقتم معي ، واعتقلتموني ثاني مرّة وحقّقتم وأنتم تعرفون أكثر منّي أنّي لا أنتمي إلى حزب أو جماعة ، وأنا والله العظيم يا نضال

[3] **هلال ، محمد غنيمي : النّقد الأدبي الحديث ، ص20 .**

صدّقت قبل أن أتخرّج من الجامعة أنّ كلّ مواطن متّهم حتى تثبت إدانته أو براءته ، وصدّقت أن لا فرق بين مؤيّد ومعارض " [4] .

تدخل السّجن ، وتتعرّض لمختلف أنواع التّعذيب ليصل الأمر إلى حدّ اغتصابها من قبل العقيد " زاهر" مدير سجن النّساء ، " الرّجل بلا اسم ولا صفة يصير أصابع تشدّ شعر ريّا إلى الخلف ، فينخلع منها قلبها وتجحظ عيناها وتهجم على وجهها شفتا الرّجل أو شارباه أو حاجباه المقرونان ، ورأس ريّا ينخلع منها كما تنخلع البصقة من شفتيها ، والآهة من صدرها ، والصّيحة من حلقها والدّمعة من مقلتيها"[5] .

وبعد اعتقالها بدأت تعلن رفضها لكلّ ما يدور حولها ، وبدأت تنفي ما تعلّمته وتدرك أنّه كان كلاماً ينفع كحبر على ورق لا أكثر، " الإنسان بحقوقه ، إذا كان يملك حقوقه فهو إنسان ، وإذا فقد حقّاً منها ، فقد من إنسانيّته قدراً ، وتحيون . إذا فقد حقوقه جميعاً صار حيواناً.

ثمّ هامست شهد :

أنا اليوم حيوانة يا شهد . أنت اليوم حيوانة . في نهاية القرن العشرين صرنا حيوانات يا شهد . نحن جميعاً حيوانات نلاقي القرن الحادي والعشرين . ليتنا كنّا حيوانات في زريبة من زرائب بريجيت باردو.....سأعمل على أن تكون لي ولك حقوق الحيوان" [6] .

وبعد الإفراج عنها فكّرت في المصير الذي ينتظرها بعدما حملت من العقيد "زاهر" ، وبحثت عن طبيب لكي تجهض" ستجري خلف ابن عمّها نضال لعلّه يرضى بها ثيباً..... . ستدمدم لأيّ رجل يرضاها "[7].

يبدو التّاريخ قدراً عاشته " ريّا" وضاعت عبر سطوره ، وأدركت متأخّرة أنّها آمنت به وتعلّمته وعلّمته ، ولكنّها ظلّت أسيرة له ، إذ صار التّاريخ ماضياً يؤرّقها ولا يسمح لها بأن ترتاح ، ومستقبلاً لا يمكن أن تغيّره أو أن تهرب منه، " سيمضّها أنّها ، وهي التي درست التّاريخ وتدرّسه ، تتوه دوماً بين الحاضر والماضي، فتشكو للبحر تيهها ، إذ يؤكّد لها أنّ التّاريخ هو الحاضر الذي يمور في أحشائه الماضي والمستقبل" [8] .

ونجد شخصيّة " شهد خيري" المهندسة النّاشطة من أجل حقوق الإنسان ، لم تتمكّن من إكمال تعليمها العالي ، ولم تُقبَل معيدةً في كلّية الهندسة، لأنّها ابنة شهيد سياسيّ معارض ، وتأخّر توظيفها سنوات طويلة حتى حصلت فيما بعد على وظيفة متواضعة في شركة الكهرباء، وجمعت إلى جانب وظيفتها العمل في مكتب للمحاماة أيضاً ، وستتعرّض شهد كسابقتها للاعتقال والسّجن والتعذيب؛ لأنّها تنتقد الأوضاع العامّة وكبت الحريّات في البلاد.

يصوّرها الرّوائيّ وهي تجلس على مقعد في الحديقة ، وهي في حالة إثارة "دسّت كفّيها تحت إبطيها، فسرى دفء لذيذ. تحلّب ريقها والتحم فخذاها، ثم أخذ أحدهما يحفّ بالآخر. مسّد الكفّان الإبطين وأطراف الثّديين ثم تسلّلا إلى ظاهر الفخذين فباطنهما،... غداً تترك " شهد" بيت الشّهيد، فتشتريه السّتّ فردوس وتفتح فيه وكراً... غداً تترك " شهد " مكتب

[4] **سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ، ص 138 .**

[5] **سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ، ص132 .**

[6] **سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ، ص59 .**

[7] **سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ، ص229 .**

[8] **سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ، ص 231– 232 .**

الأستاذ عبد الحكيم، ليكون لها الوقت كلّه،... لن تزيل الشّعر على عجل. ستتملّى من صدرها ومن بطنها ومن عانتها ومن فخذيها، كما كانت تفعل قبل أن تجمع مع الجامعة مكتب المحاماة... "[9] .

أبدع الرّوائيّ نبيل سليمان في وصف الشّخصيّات النّسائيّة في روايته " سمر الليالي " ، فها هو يطالعنا بالصّفات المادّيّة الجسديّة للشّخصيّة الرّئيسة ريّا العيد ، فهي جميلة الجسد ، وقد جاء وصف هذه الشّخصيّة عن طريق الإخبار على لسان صديقتها شهد ؛ إذ تقول : " كان يا ما كان في سالف العصر والأوان بنت اسمها ريّا حسّان العيد جبهةٌ كالمرآة المصقولة ، يزينها شعرٌ حالك كأذناب الخيل ، وحاجبان كأنّما خُطّا بقلمٍ أو سُوّدا بحمم ، تقوّسا على مثل عين ظبيةٍ بعين مهرة ، وبينهما أنفٌ كحدّ السّيف الصّنيع تحميه وجنتان كالأرجوان في بياضٍ كالجمان فيه فمٌ كالخاتم لذيذ المبسم ، فيه ثنايا غرّ ذات أشر تقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان ، وتلتقي فيه شفتان تحلبان ريقاً كالشّهد إذا دُلّك في رقبة بيضاء كالفضّة رُكّبت على صدرٍ مثل صدر الدّمية ، وعضدان مدملجان يتّصل بهما ذراعان ليس فيهما عظم يمسّ ولا عرق يجسّ بكفّين دقيقٌ قصبهما ، ليّنٌ عصبهما ، تعقد لو شئت منهما الأنامل في صميم الصّدر تعالى ثديان كالرّمّانتين تحتهما بطنٌ طُويت طيّ القباطيّ المدمجة والعكن كالقراطيس المدرجة ، وحول العكن سرّة كالمدهن المجلو ، وخلفها ظهر كالجدول ينتهي إلى خصرٍ لولا رحمة الله لهوى على كفلٍ يقعدها إذا نهضت وينهضها إذا قعدت كأنّه دعص الرّمل لبّده سقوط الطّلّ يحمله فخذان كأنّما قلبا على نضد من الفيروز فوق ساقين خذْلتين كالبردتين والوسط توشّى بشعرٍ أسود كأنّه حلق الزّرد ، فتبارك الخالق " [10].

نوّع الرّوائيّ نبيل سليمان في استخدام الوسائل التي يعتمدها الرّوائيّون في رسم شخصيّاتهم، فلجأ إلى تقنيّة إخبار الشّخصيّات عن غيرها ليقدّم بعض الصّفات الخارجيّة الجسديّة لشخصيّاته، إذ أوكل إلى شهد مهمّة تقديم الشّكل الخارجي لشخصيّة ريّا كما ظهر لنا من المقتطف السّابق، إذ وصفت وجه ريّا بتفاصيله الدّقيقة (الجبهة ، الشّعر ، الحاجبان، العين ، الأنف ، الوجنتان ، الفمّ ، ...) ، لتنتقل إلى وصف مفاتن جسدها (العضدان، الأنامل ، الثديان ...) بدقّة متناهية تعكس جمالها الأخّاذ الذي كان دافعاً لإغراء المسؤول الأمني ودفعه للاعتداء على ريّا ، وهذا ما كان يبتغيه الرّوائيّ من رصف الصّفات الجسديّة لإظهار البعد الأخلاقي والاجتماعي لاغتصاب هذه الشّخصيّة في السّجن .

تتمحور صفات هذه الشّخصيّة حول الجمال والفتنة والسّحر الذي يميّز هذه الشّخصيّة التي تدافع عن حقوق الإنسان ، وتواجه الظّلم ، وأدوات التّعذيب ، واعتداء رجال الأمن عليها ، واغتصابها ، ولعلّ ذلك الجمال من الأسباب التي دفت إلى تعرّضها للعنف والتّعذيب والاغتصاب في السّجن .

ولم يكتفِ الكاتب بتصوير الصّفات الجسديّة للشّخصيّة ، إذ يتجلّى وصف صفات الشّخصيّة النّفسيّة من خلال رصد الحياة التي تعيشها هذه الشّخصيّة في الرّواية ، فشخصيّة ريّا في " سمر الليالي "عاشت تحوّلاً نفسيّاً سلّط الرّوائيّ الضّوء عليه من خلال إظهار قوّة شخصيّتها ، وشجاعتها ، وثباتها في المواقف قبل اعتقالها ، وظهرت تلك الصّفات عن طريق الإخبار على لسان والدتها ، تقول : " ريّا إذا عزمت على أمر ، فلن تتراجع ، وعمر ليس هنا حتّى يشكمها " [11].

---

[9] **سليمان ، نبيل : سمر الليالي: ص85، وينظر: ص86-87 .**

[10] **سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ، ص 146-147.**

[11] **سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ، ص 18 .**

إذ ظهرت الثّقة بالنّفس في شخصيّة ريّا ، وقدرتها على اتّخاذ القرار ، وهذا ما يبدو جليّاً من خلال الحوار الذي يعكس جرأتها ، وتحدّيها لأحد رجال الأمن الذي جاء لاستدعائها من دوامها في المدرسة ، لتتبدّل طرقة الرّوائيّ من الإخبار إلى الحوار لرصد صفات هذه الشّخصيّة ، ووظيفة هذا الحوار الكشف عن ملامح الشّخصيّة الانفعاليّة ، وقد استخدم الرّوائيّ نبيل سليمان الحوار بوصفه تقنيّة مساعدة للوصف والإخبار في بناء شخصيّاته الرّوائيّة ، يقول : " على ريّا – كما أوضحت مدام زكيّة باعتداد إثر انصراف الشّابّ الأجلح – ألّا تتأخّر عن العاشرة من صباح غد الأربعاء ، وكما سخرت ريّا من مرام زكيّة ، قد تكون سخرت من الشّابّ الأجلح :

– لن أوقّع على استلام دعوتك الكريمة .

قال الشّابّ بهدوء :

– المهمّ أن تحضري في الموعد المحدّد .

قالت ريّا بحزم :

– لن أحضر .

قال الشّابّ وهو ينهض :

– أرجو ألّا نضطرّ إلى إحضارك بالقوّة .

– جرّبوا .

قالت ريّا ، ثمّ عادت إلى غرفة المدرّسات ...

....

....

ريّا الوحيدة تتكثّر: واحدة يمضّها انتظار الاعتقال ...واحدة تتسلّى بلعبة الانتظار ....، واحدة تتساءل : لماذا يعتقلوني ؟ توحّدت ريّا وتكوّرت .." [12].

لينقلنا الرّوائيّ إلى الحالة النّفسيّة الجديدة المنهزمة للشّخصيّة ريّا بعد ثباتها ، وصلابتها لتحظى هذه الشّخصيّة بالانكسار والعذاب في السّجن بعد الحريّة والأمان والثّبات قبل دخولها السّجن ، فقد تجلّت هذه الشّخصيّة ضعيفة ، منكسرة ، يائسة ، وقد تبلورت هذه الصّفات عن طريق الحوار مع شخصيّة شهد :

" قالت ريّا :

– اسخري كما يحلو لك ، ولكن لاتنسي أنّك تعيشين في زرائب العرب .

قالت شهد :

– يأسك أقتل من يأس مهنّد . هذا كلام العاجزين .

.....

– أين ريّا التي تريد أن تخرج وحدها في مظاهرة ؟ " [13].

ويتولّى الرّوائيّ نبيل سليمان تجسيد صفات الشّخصيّة الجديدة لريّا بعد خروجها من السّجن ، إنسانةً مهزومة ، وقد خسرت مهنتها في التّدريس ، وتلاشت حقوقها .

---

[12] **سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ، ص 21–22 .**

[13] **سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ، ص 59 .**

فكان هذا التبدّل النّفسي في صفات الشّخصيّة من القوّة إلى الضّعف ، من الأمان إلى الخوف كفيلاً بتسليط الضّوء على الواقع الاجتماعي والسّياسي المتردّي الذي أراد الرّوائيّ من خلال تحوّلات الشّخصيّة النّفسيّة نقله للقارئ .

فبعد خروجها من السّجن أضناها البحث عن عمل في مدينة" لا عمل فيها لامرأة لا عمل لها إلّا أن تتعلّم التّاريخ وتعلّمه " [14] ، ثمّ فكرت بالهجرة إلى أيّ بلد عربيّ، لكنّهم أكّدوا لها أن" لا عمل في بلاد العرب –وما شابهها – لامرأة لا عمل إلّا أن تتعلّم التّاريخ وتعلّمه ، بدأت تبيع كتبها بالبخس إلى مكتبة الجاحظ ومكتبة آفاق" [15] ، ولكنّ الكتب التي باعتها أُعيدَ قسمٌ منها لأنّ الهوامش ملأى بالتّعليقات مثل : السّيرة النّبويّة وإحياء علوم الدّين ، ومقاتل الطّالبيين والفهرست والقصاص وتواريخ الطّبري والمسعودي والبلاذري .... وصارت تقرأ الكتاب وتتفحّصه قبل أن تبيعه ، ولكنّها عندما عادت لقراءة تلك الهوامش سقطت أسيرةً بين يدي التّاريخ من جديد وصارت تلك الهوامش كالكتب " سجناً من التّاريخ أو تاريخاً من السّجن يطويها في غياهبه"[16] ، إذ صارت ترى ذلك الشّخص الذي بلا اسم أو صفة يتمثّل أمامها بزيّاد ابن أبيه ، ويأمر بالمثلة في رأس عمرو بن الحمق ، و يتعيّن ذلك الشّخص بالمعتمد بن عبّاد وهو يزرع حديقة قصره بالرّؤوس التي يقطعها ، و يتعيّن ببشر بن مروان الذي يسمّر يديها ويصلبها ...هو ..... ، وهي تنتقل من عصر إلى آخر لترى الصّورة ذاتها متكرّرة لكن بأسلوب جديد وأسماء جديدة ، وعصراً فعصر ، وخلافة فخلافة تتكرّر الأحداث ذاتها مع هؤلاء الذين حملوا رايات المعرفة عبر العصور ، وصنعوا التّاريخ الحقيقيّ الذي لا تزييف فيه ولا حشو ، ولكنّها خرجت بعد ذلك من أسر التّاريخ ، وأخيراً تبدّى لها الرّجل بلا صفة أو اسم " الحجاج" الذي أمر بأن يُطاف بها على حمار، وبلفّها عارية بالقصب المشقوق ، فصاح به هامش ممّا همّشت به ريّا بعض كتبها ، فعاد الحجاج رجلا بلا صفة ولا اسم ، و حُلقت لحيته، وطافت به على حمار ، ثمّ عبّأت بنفسها الكتب التي همّشتها في علبتين من الكرتون ، وأودعتهما في السّقيفة ، وظلت لياليَ تكابد الجدع والصلب والشّيّ والتّكسير والسّلخ والاغتصاب وسواه ممّا عاشت في ذلك" السّجن من التّاريخ أو التّاريخ من السّجن [17].

لقد عاشت" ريّا" أسيرة التّاريخ الذي قرأته وعلّمته لطالباتها ، واكتشفت أنّنا لا نزال نعيش الماضي الذي عشّش في أعماقنا وما عدنا قادرين على الخروج من أسره .

وإنّ الجمال الجسديّ لشخصيّة " ريّا " الأنثويّة قد أتى به المؤلّف ليلبّي الوظيفة الموكولة إليه بشكلٍ جيّد ، ولعلّ هذه الصفات الجسديّة قد سبّبت ل ريّا الإساءة ، وكانت مبعثاً للشرّ والأذى لصاحبتها ، ومن الطّبيعيّ أنْ تُوَظّف تلك الإشارة في الكشف عن بُعدٍ أخلاقيّ واجتماعيّ .

ويمكن تلمّس المضمون السّيكولوجي لشخصيّةٍ ما بالوقوف أمام الحياة الداخليّة التي تعيشها تلك الشخصيّة ، " أو عن طريق تحليل مظاهر تلك الحياة " [18] . وقد وجدنا أنّ ملامح ريّا النّفسيّة قبل دخولها السّجن كانت شعوراً بالثقة بالنّفس يبلغ حدّ الإفراط ، جريئة بشكلٍ يفوق ماعند بنات جنسها .

لقد أدّى التبدّل في شخصيّة ريّا العيد هدفه في خدمة استراتيجيّة الرّواية ، فالتّشكيل النّفسي الذي عايشته ريّا هو التّشكيل المطلوب لما أراد نبيل سليمان تحقيقه في الرّواية .

---

[14] **سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ،ص 252 .**

[15] **سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ، ص252 .**

[16] **سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ، ص253 .**

[17] **ينظر : سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ، ص252–256.**

[18] **بحراوي ، حسن : بنية الشّكل الرّوائيّ ، ص 212 .**

إذ تتناسب هويّة ريّا الاجتماعيّة مع هويّتها من النّاحيتين الجسديّة والنّفسيّة . لقد مات والدها بعد محاولته الفاشلة لتزويجها من ابن عمّها نضال ، ولكنّ يُتمها هذا لم يؤثّر في تأمين مستقبلها الوظيفيّ، مع ما يعكس من إيجابيّة في نظر الآخرين إليها ، وربّما كان له انعكاس إيجابيّ في استقلاليّتها . وبعد تسريحها من الوظيفة أحسّت أنّ مقاومتها قد ضعفت ، وأنّ مكانتها الاجتماعيّة قد تراجعت ، ولاكت الألسن سمعتها نتيجةً لعلاقتها المشبوهة بالعقيد زاهر ، ولعلّ من الطبيعيّ أن تتحدّد سماتها الاجتماعيّة وفق ما أراد الكاتب انسجاماً مع الدّور الذي يمكن أن تؤدّيه في الرّواية .

وهاهو الروائيّ نبيل سليمان يصوّر جمال الشّخصيّة النّسائيّة المناضلة الجسدي ، فيعمد الرّوائيّ إلى طريقة الإخبار في وصف شخصيّة شهد خيري على لسان ريّا : " قالت ريّا :

– كان يا ماكان في قديم الزّمان بنت اسمها شهد خيري : عيون مكحلة وشفايف موردة وفخاذ مرمر وأسنان من البلّور " [19].

ليحيلنا المقتطف السّابق عن صفات شهد الجسديّة التي تشي بجمالها (عيون مكحلة ، شفايف ، فخاذ ...) ، ممّا جلب لها التّعذيب وتحرّش السجّان .

إنّ التعبير عن الموقف القومي والوطني من خلال المظاهرات والاعتصامات لا يتعارض مع العوامل الذاتية التي تحكم تصرفات هذه المرأة، ولعل الأهم هو السلوك الفردي الذي يأتي تعبيراً عن عوامل شخصية تتكامل فيما بينها بالاستناد إلى مستوى ثقافي محدد. وبهذا أدّت الهوية السياسية عند شخصيّة ريّا الدور المطلوب منها في الرواية.

لقد رصد نبيل سليمان من خلال شخصيّة" ريّا" في عمله الروائي" سمر الليالي" الفساد والظلم في المجتمع اللذين صارا عرفاً متوارثاً منذ بدايات التّاريخ ولا يزال مستمرّاً تجاه المرأة ، وربما تقول الرّواية عبر طيّاتها لنا أنّ هذا الظلم وتلك الوحشيّة سيظلّان ما بقيت البشريّة في كلّ زمانٍ ومكان .

إنّ الأشكال السردية للشخصيات لا تتحدّد بأدوار الشّخصيّات، إذ لا يمكننا مطابقة دور شخصية ما مع شكلها السردي تماماً، كما تصور ذلك عدنان خالد عبد الله بقوله: " وفي العادة يكون للشخصية الجامدة دور ثانوي في العمل القصصي" [20] ، وهو تحديد يحتاج إلى تدقيق، فقد يكون للشخصية الجامدة دورٌ اسناديٌّ، وقد تكون شخصية رئيسة مسطحة مادامت تمضي على حال سردي واحد لا يغير من شكلها، ولعل هذه التقسيمات والتصورات كلها لا تقلل من قيمة الشّخصيّة الجامدة التي قد تكون " أمعن في الدلالة على المضمون الفني والاجتماعي الذي يهدف إليه الرّوائيّ" [21]، لأنّ شكل هذه الشّخصيّة قد يصبح تعبيراً روائياً يعكس كل شخص مهمش في الحياة، أو قد تبدو هذه الشّخصيّة الحلقة الأضعف في صراع الرّواية المستديم.

وفي رواية سمر الليالي تأتي شخصيّة لويز الصّيدلانيّة الشّيوعية التي يتمّ تعريتها من أجل وضعها على كرسي التّعذيب لـ" تنكس رأسها صغاراً من الثّديين اللذين لم يكبرا، بعدما انسربت بين فخذيها –وبقّعت سروالها– نقطة، نقطتان، ثلاث، أفقع حمرة ممّا سينسرب الليلة ... "[22] ، كشخصيّة جامدة ؛ إذ تتعرّض هذه الشّخصيّة لما تعرّضت له

---

[19] **سليمان ، نبيل ، سمر الليالي ، ص 147 .**

[20] **عبد الله ، د. عدنان خالد : النقد التطبيقي التحليلي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1986 ، ص 67.**

[21] **الهواري ، أحمد إبراهيم : البطل المعاصر في الرّواية المصرية ، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام العراقيّة ، ص 1976م ، ص218 .**

[22] **سليمان ، نبيل ، سمر الليالي: ص192–193، وينظر: ص174.**

زميلاتها أيضاً ، وعبر تلك الشّخصيّات وما يحدث لها نتعرّف على الأجواء الموبوءة داخل السّجن وخارجه ، فداخل السجن يحدث كلّ ما يمكن أن يتخيّله الإنسان، وما لا يمكن أن يتخيّله من فنون التعذيب؛ من سلخ وتقطيع ولدغ بالكهرباء واغتصاب وتعليق وشي، ومن وضع السّجينات في غرف لا إنسانيّة تغمرها العتمة، وتفوح منها رائحة القاذورات، فالسّجينة التي تدخل هذا النوع من الغرف تكون هذه الغرفة مخصّصة لجلوسها ونومها وطعامها وشرابها وقضاء حاجتها في حفرة ترابية بجانبها في الغرفة نفسها، وربما تتحوّل هذه الغرفة إلى قبر لها أيضاً، وفيها تصبح خارج الوقت فهي لا تعرف اللّيل من النهار، ولا الصباح من المساء، فقط الرائحة النتنة تعلق في الذاكرة ، لكنّها في الرّواية شخصيّة جامدة لم يكن لها دور في دفع الأحداث إلى الأمام ، بل تجسّد دورها في إتمام تشكيل صورة تعذيب الشّخصيّات في السّجن بأبشع الطّرق .

وكذلك الشخصيّة النّسائيّة لبيبة الطّبيبة النّاشطة الإسلامية فتعتَقل وتخضع لمختلف أفانين التّعذيب نتيجة انتمائها إلى إحدى الجماعات الإسلاميّة، ممّا يؤدي إلى دخولها إلى مستشفى الأمراض العقليّة، بعد أن بدأت أحوالها بالتردّي نتيجة التّعذيب المتكرّر، والمستمرّ حتى بدت وكأنّها تفقد عقلها تدريجيّاً ، ولعلّ الصّورة الأكثر إثارة وتنفيراً في الوقت نفسه هي صورة لبيبة التي تبدو وكأنّها امرأة شاذّة شبقة ساديّة تشعر باللّذّة وهي تحت وطأة التّعذيب بالكهرباء، أو تحت لكمات أو ضربات قمر الزّمان لها بالخيزرانة. وإذا كانت اللّذّة تختلط عادة بالألم الشّفيف، فمن غير المعقول أن تشعر باللذّة وهي تحت وطأة هذا النوّع من التّعذيب اللّاإنساني[23] ، يقول نبيل سليمان : " بعد ليالٍ معدودات كانت لبيبة مثلها الآن – لا تخشى الكهرباء ، بل تنشد الشّبق الذي صار يواعدها ، كلّما قيّد قمر الزّمان الأصابع ، وعضّ محبس على إبهام ، وفجأة ، ترتعش لبيبة ، وتتلوّى معتصرةً اللذة المحرّمة من فخذين ...." [24] .

الزّمان والمكان في الرّواية :

ومن ناحية بناء المنظور الرّوائي على مستويي الزمان والمكان ، يطلّ علينا الرّاوي في الرّواية في المرحلة الحاضرة التي مانزال تُرخي بظلالها على الواقع ، وتترك تأثيراتها المتعدّدة والمتنوّعة . هذه المرحلة تشهد انتهاء قرن وبداية قرن جديد ، مع كلّ ما يمور بين هذا وذاك من متغيّرات تشمل جميع الأصعدة ، وتطال جميع المرتكزات الحياتيّة ، الماديّة منها والمعنويّة . ولم يقتصر الأمر على التغيّرات الظّاهريّة ، وإنّما تجاوزتها لتصل إلى حدّ العبث والتّفريط بجملة من القيم الأخلاقيّة المتوارثة .

تجري أحداث الرّواية في السّنوات الأخيرة من القرن العشرين ، ويستدلّ على ذلك من كون ريّا _ بطلة الرّواية _ قد وُلدت عام سبعةٍ وستين ، وهي لمّا تكمل الثّلاثين من العمر عندما زُجّ بها في السّجن ، فتكون أحداث الرّواية قد غطّت تلك الحقبة من تاريخ المجتمع السّوريّ ، وفي نظرةٍ عجلى إلى ذلك إلى ذلك المجتمع نرى أنّه يضطرب بما تراكم فيه من ثقافات : منها ما كان ذا طابعٍ محلّيّ ، ومنها ما كان متأثّراً بالفكر والإعلام والثّقافة الغربيّة ، في ظلّ هذه الظّروف الاجتماعيّة التي بيّنها الكاتب من رشوة وصراعٍ على النّفوذ وظلمٍ تجري الأحداث ، ومن الطّبيعي أن يضمّنها موقفه غير المُعلَن من الكون والحياة ، منطلقاً من القيم الأصيلة التي يؤمن بها ، والتي تتعارض مع كلّ ما يراه في المجتمع .

[23] **ينظر: سليمان ، نبيل : سمر الليالي: ص160.**

[24] **سليمان ، نبيل : سمر الليالي ، ص 160 .**

تتفاعل المكوّنات الرّوائيّة عن طريق سلسلة من التّداخلات التي تربط فيما بينها، وفيما يخصّ الشّخصيّة، فإنّ شبكة علاقاتها تمتدّ لتصل إلى باقي المكونات، فـ " أيان وات " يرى أن معالم شخصيات الرّواية لا تتحدد إلا إذا وضعت في إطار من الزمان والمكان المعينين[25]، وتحتاج الرّواية إلى أمكنة متعدّدة تواكب تطوّر الأحداث و حركة الشّخصيّات[26] .

إنّ علاقة الشّخصيّة بالمكان تقوم على منطق التأثيرات المتبادلة بين البنيتين، فالمكان الرّوائيّ هو : " الأرضيّة التي تشدّ جزئيّات العمل كلّه، فهو إن وضح وضح الزّمن الرّوائيّ، وإن درس بعناية فهمت الشّخصيّة، وإن تناوله الرّوائيّ بصدق تاريخيّ وصدق فنّيّ مكّن عمله في أن يمتدّ في التّاريخ" [27] ، وهو تصوّرٌ يعطي المكان أهميّته المناسبة؛ لأنّه بنية مركزيّة في كلّ رواية أيّما كانت سماته أو تمظهراته، بل قد يؤسّس أحياناً " علّة وجود الأثر"[28]، أي أنّ مكوّنات الخطاب الرّوائيّ قد تتضافر من أجل صناعة مقولة المكان، لاسيّما وأنّ هذه المقولة كثيراً ما تكون محاولة للإمساك بالمكان وجماليّاته بإزاء التّحوّلات الناحتة في الأمكنة والأشياء القريبة من الإنسان، من هنا نستطيع أن نعي قول باشلار: " إنّ المكان ليس بمثابة الوعاء أو الإطار العرضيّ التّكميليّ، بل إنّ علاقته بالإنسان علاقة جوهريّة تلزم ذات الإنسان وكيانه" [29] ، أمّا الشّخصيّة فإنها تمارس تأثيراً مشابهاً في المكان، يرسم صور العلاقة فيما بينهما، إذ " إنّ ظهور الشّخصيّات ونموّ الأحداث التي تساهم فيها هو ما يساعد على تشكيل البناء المكانيّ في النّصّ، فالمكان لا يتشكّل إلّا باختراق الأبطال له وليس هناك بالنّتيجة أيّ مكان محدّد مسبقاً، وإنّما تتشكّل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال، ومن المميّزات التي تخصّهم" [30]، لذلك فليس هناك مكان يتمتّع بالأفضليّة على حساب مكان آخر، لأنّ علاقة الشّخصيّة بالمكان هي ما يكشف عن مستوى التّداخل أو الانفصام الذي يخضع بالضّرورة – لتوجّهات الرّوائيّ ، إذن فالمكان الرّوائيّ وليد النّصّ قبل أيّ توصيف " لذا فباستطاعة أيّ مكان أن يكون متميّزاً إذا ما صدقت حاسّة الأديب الفنّان في البحث أو الغوص وراء عناصر تميّزه، ولم يكن منساقاً – قبل أن يبدأ – وراء الأفكار والأنماط السّائدة، أو مزمعاً البحث عن مكان – مجرّد مكان – يحلّ فيه أفكاره المبيّتة" [31].

إنّ علاقة الشّخصيّة بالمكان تتنوّع وتختلف تبعاً لتجلّيات المكان الرّوائيّ ف ميشال بوتور يقول: " وبحسب معرفتي لا توجد رواية تجري جميع حوادثها في مكان واحد منفرد، وإذا ما بدا أنّ الرّواية تجري في مكان واحد خلقنا أوهاماً

---

[25] ينظر: وات ، أيان : ظهور الرّواية الإنكليزية ، تر : يونيل يوف عزيز ، الموسوعة الصّغيرة (78) ، منشورات دار الجاحظ للنشر ، بغداد ، 1980م ، ص 22 .

[26] ينظر : الفيصل ، سمر روحي : بناء الرّواية العربيّة السّوريّة (1980 –1990)، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 1995م ، ص 253.

[27] النّصّير ، ياسين : الرّواية والمكان – دراسة في فن الرّواية العراقية، الموسوعة الصّغيرة (57) ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد ، 1980 ، ص6.

[28] بورنوف ، رولان ، أوتيليه ، ريال : عالم الرّواية ، تر : نهاد التكرلي ، مر : فؤاد التكرلي و د. محسن الموسوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1991م ، ص 92 .

[29] المرزوقي ، سمير ، شاكر ، جميل ، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً،(مشروع النشر المشترك) ، دائرة الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الدار التونسية للنشر ، 1986 م ، ص 160 .

[30] بحراوي ، حسن : بنية الشكل الرّوائيّ، ص 29.

[31] عبد الله ، د. محمد حسن : الريف في الرّواية العربية، سلسلة عالم المعرفة (143) ، الكويت ، 1989م ، ص298.

تنقلنا إلى أماكن أخرى" [32] ، لذا سيكون علينا أن نرصد المستويات المتعدّدة للعلاقات التي تولّدها التّأثيرات المتبادلة بين الشّخصيّة والمكان، إذا علمنا أنّ المكان والشّخصيّة كلّاً منهما يحفر في الآخر تأثيرات سطحيّة أو عميقة الغور.

أمّا لجهة المكان في رواية " سمر الليالي " فلم يحدّد الكاتب المدينة التي تجري فيها أحداث روايته ولم يسمّها ، ولأنّها ذات واجهةٍ بحريّة فقد تكون اللاذقيّة أو طرطوس أو أيّة مدينة ساحليّة سوريّة أخرى ، ويختار من المدينة : المكتب والمدرسة والسّاحة والسّجن والمنزل والبقاليّة مسرحاً للأحداث ، ويشكّل نبيل سليمان الأمكنة من خلال تطوّر الأحداث وتناميها بتدرّج وسلاسة محكَمين ، هنالك تأثير واضح لا يمكن تجاوزه بين الشّخصيّات الرّوائيّة والمكان ؛ إذ ليس هنالك من العناصر السّرديّة ما ينافس المكان في الدّور الأساسيّ في التّأثير المباشر في الشّخصيّات وسير الحدث الرّوائيّ ، وقد كان المكان الرّوائيّ الحامل الأهمّ لكلّ مجريات أحداث رواية " سمر الليالي" ، كما شكّل نقطة التقاء جمعت الشّخصيّات على اختلاف إيديولوجيّاتهم ، وانتماءاتهم ، وآرائهم ..... فقد شكّل (السّجن) من حيث هو مكان روائيّ حيّزاً واسعاً مفتوحاً على احتمالات ورموز لا حصر لها ، ففي البداية تطالعنا الشّخصيّة " ريّا حسّان العيد " المثقّفة المثقّلة بالقلق والتطلّعات قبل نقلها إلى المركز الأمني ثمّ إلى سجن النّساء . لقد جعل العالم الجديد الذي نُقلَت مكرهةً إليه ، من الزّمن جزءاً من الحال الانفعاليّة التي ألفت نفسها فيها . هنا " يصبح بإمكان بنية الفضاء الرّوائيّ أن تكشف لنا عن الحال الشّعوريّة التي تعيشها الشّخصيّة ، بل قد تسهم في التحوّلات الدّاخليّة التي تطرأ عليها " [33] ، ويظهر السّجن أحياناً بمعناه المادّي وهو تلك الغرفة الضّيّقة ذات الأمتار الثّلاثة والزّاوية والباب الحديديّ والجدار والقضبان النّازلة من السّقف والإضاءة الخافتة التي ترخي عليها " **ظلالاً شوهاءَ متطاولة ومبتورة وغليظة وقصيرة ورجراجة فلا تدري ريّا إن كان هذا الظلّ لغصن أو لعمود الكهرباء ، وذاك لساق عابرة أو لسيارة ، وكلّ ظلّ ينادي ريّا باسم ، والأسماء ترتسم على حديد الباب كما ترتسم الكلمات على أيّ من جدران الزّنزانة**" [34] .

ويمكن القول : إنّ دور المكان هنا لم يعد زاويةً خارجيّةً للرّؤية ، وإنّما مكان للإطلالة على الذّات المنكسرة الذّليلة التي تئنّ تحت وطأة التّعذيب الجسديّ والنّفسي في آنٍ واحد .

إذا كان للسّجن مثل هذه الزّاوية من الرّؤية التي تمثّل الذّات المعانية محوراً لها ، فإنّ العالم الخارجيّ لم ينجُ من الاصطباغ بالرّؤية ذاتها ، فيكون كلٌّ من عالم السّجن والعالم الخارجيّ قد حمل وجهة نظر منفصلة عن المحيط ، ليحلّ محلّها عالم الذّات بكلّ ما فيها من بؤسٍ وشقاءٍ وقهرٍ اجتماعيّ .

لغة الرّواية :

أمّا اللّغة في الرّواية ؛ فعلى الرّغم من أنّ شخصيّات الرّواية جميعها من المثقّفات والمتعلّمات وصاحبات الانتماءات المختلفة؛ فإنّ اللّغة التي يتحدّثن بها هي لغة تستخدم الألفاظ الحادّة والجارحة التي لا نسمعها إلّا في الشّارع ، فكلّ الأشياء تسمّى بمسمّياتها ، وجميع الشّخصيّات تستخدم مستوىً لغويّاً واحداً، وحتّى الشّخصيّات الذّكورية في العمل تستخدم المستوى اللّغويَ نفسه. فلغة ريّا لا تختلف عن لغة لويز ، أو لغة لبيبة أو حتّى عن لغة العقيد زاهر أو الرّائد فادي؛ الأمر الذي يجعلنا نتساءل عن ماهيّة هذه اللّغة: هل هي حقّاً لغة الشّخصيّات، أو أنّها لغة الواقع الذي يرصده

---

[32] **بوتور ، ميشال : بحوث في الرّواية الجديدة ، تر : فريد انطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط1 ، 1971م ، ص61**

[33] **بحراوي ، حسن : بنية الشّكل الرّوائيّ ، ص 30 .**

[34] **سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ، ص135 .**

الرّوائي، أو أنّها لغة الرّوائيّ نفسه؟! وللوقوف عند بعض الشّواهد التي تدلّ على طبيعة اللّغة المستخدمة في الرّواية، والألفاظ التي تشير إلى أسماء الأعضاء الذّكريّة والأنثوية، والأفعال الجنسيّة بحرفيّتها[35] .

وإذا كانت تلك اللغة يُسكت عنها في بعض الأحيان بحجة واقعيّتها، فيجب ألّا ننسى أنّ الفنّ ليس انعكاساً آليّاً للواقع، أو تصويراً فوتوغرافيّاً لما يحدث فيه. فإذا لم تخدم هذه الألفاظ أو تلك اللّغة النّاحية الفنّية في الرّواية فإنّ ذكرها يسيء للرّواية بوصفها فنّاً أدبيّاً راقياً، وليست نقلاً حرفيّاً للواقع.

خاتمة :

وهكذا نجد : أنّ رواية " سمر الليالي " لنبيل سليمان ترصد الأحداث السّياسيّة في وقتها الحاضر، وظلال تلك الأحداث على الحياة الاجتماعيّة. ولابدّ من الإشارة إلى أنّ كلّ شخصيّة أنثويّة هي عبارة عن نموذج يمثّل شريحة واسعة من شرائح المجتمع، ولذلك فنحن نعايش نماذج إنسانيّة تعكس الواقع بمختلف وجوهه.

- إنّ موضوع المرأة / الرّجل مثّل جانباً مهمّاً من جوانب الحياة الاجتماعيّة داخل الرّواية ، وتتفرّع عنه مجموعة من القضايا التي تنطوي على كيفيّة ممارسات البالغين وسلوكهم ، ويتضمّن جوهر النّظرة إلى مسألة العلاقات بين الجنسين ، مع ما يتفرّع عنها من أخلاقيّات.
- إنّ شخصيّة المرأة في الرّواية تمثّل جيلاً معاصراً بكلّ ما يحمل من هموم ، وبكلّ ماعنده من تطلّعات . إذ نجد بناء شخصيّة المرأة قد تمّ وفق تخبّط في الحياة ، حاولت شخصيّة المرأة من خلاله أن تحقّق ما تحلم به ، إلّا أنّها ضلّت السّبيل ، وقد يكون ذلك بسبب من الانطلاق والرّؤية الفرديّتين ، فجاءت النّتيجة عجزاً متّسماً بالمأساويّة عند غير شخصيّة من شخصيّات الرّواية .
- إنّ الشخصيّات النّسائيّة عجزت عن تحويل الدّوافع الفرديّة الذاتيّة إلى دوافع جماعيّة في مجتمعٍ يتّسم بالهشاشة والانفلاش ، ويكاد يفقد هُويّته وركائز استمراره .
- شكّل السّجن مكانيّاً عالماً مغايراً للشّخصيّات عندما مثّل دور العائق الكبير الذي حال دون تحقيق الطّموحات والآمال لهذه الشّخصيّات .
- استخدمَت الشّخصيّات النّسائيّة جميعها مستوى لغويّاً واحداً ، فكانت اللّغة خادماً لأفكار الكاتب التي أراد إيصالها إلى المتلقّي .
- ومهما يكن من أمر ، فإنّ الرّوائي " نبيل سليمان " قد أفاد من ثقافته وقدّم لنا شخصيّات نسائيّة متعدّدة الاتّجاهات والمواقع ، رصد من خلالها أزمات المجتمع السياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة وغيرها ، وذلك بتقديمه نماذج لشريحة من المثقّفات، وقد استطاعت كلّ شخصيّة أنثويّة أن تحمل وجهة نظر الكاتب إلى العالم من حوله ، وهذا يدلّ على مقدرة فنّيّة لا تحتاج إلّا للقلائل من الكُتّاب المبدعين في ميدان الرّواية الحديثة .

[35] **ينظر: سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ، ص86، 129-130، 133-134، 203، 218، 230، 256.**

المصادر:

- **سليمان ، نبيل : " سمر الليالي " ، دار الحوار ، اللاذقيّة ، ط1 ، 2000م .**

المراجع العربيّة:

- بحراوي ، حسن : بنية الشّكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1990م .
- عبد الله ، د. عدنان خالد : النقد التطبيقي التحليلي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1986.
- عبد الله ، د. محمد حسن : الريف في الرّواية العربية، سلسلة عالم المعرفة (143) ، الكويت ، 1989م.
- الفيصل ، سمر روحي : بناء الرّواية العربيّة السّوريّة (1980 –1990)، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 1995م.
- المرزوقي ، سمير ، شاكر ، جميل ، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً،(مشروع النشر المشترك) دائرة الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الدار التونسية للنشر، 1986 م.
- معتصم ، محمد : بناء الحكاية والشّخصيّة في الخطاب الرّوائيّ النّسائيّ العربيّ ، دار الأمان، الرّباط ، ط1 ، 2007م .
- النّصّير ، ياسين : الرّواية والمكان – دراسة في فن الرّواية العراقية، الموسوعة الصّغيرة (57) ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد ، 1980م.
- هلال ، محمد غنيمي : النّقد الأدبي الحديث ، دار العودة ، بيروت 1987م.
- الهواري ، أحمد إبراهيم : البطل المعاصر في الرّواية المصرية ، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام العراقيّة ، ص 1976م .

المراجع المترجمة :

- بوتور ، ميشال : بحوث في الرّواية الجديدة ، تر : فريد انطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط1 ، 1971م .
- بورنوف ، رولان ، أوتيليه ، ريال : عالم الرّواية ، تر : نهاد التكرلي ، مر : فؤاد التكرلي و د. محسن الموسوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1991م .
- وات ، أيان : ظهور الرّواية الإنكليزية ، تر : يونيل يوف عزيز ، الموسوعة الصّغيرة (78)، منشورات دار الجاحظ للنشر ، بغداد ، 1980م.

Sources:

- Suleiman, Nabil: "Samar Al-Layali", Dar Al-Hewar, Latakia, 1st edition, 2000.

Arabic References:

- Bahrawi, Hasan: Structure of the Novel Form, Arab Cultural Center, Beirut, 1st edition, 1990.
- Abdullah, Dr. Adnan Khaled: Applied Analytical Criticism, General Cultural Affairs House, Baghdad, 1st edition, 1986.
- Abdullah, Dr. Muhammad Hasan: The Countryside in Arabic Novels, Knowledge World Series (143), Kuwait, 1989.
- Al-Faysal, Samar Rouhi: Building the Syrian Arabic Novel (1980-1990), Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 1995.

- Al-Marzouqi, Samir, Shakir, Jamil: Introduction to Theory of the Story: Analysis and Application, (Joint Publishing Project) General Cultural Affairs Department, Baghdad, Tunisian Publishing House, 1986.
- Mu'tasim, Muhammad: The Structure of the Story and Character in Arabic Women's Novel Discourse, Dar Al-Aman, Rabat, 1st edition, 2007.
- Al-Nasair, Yasin: The Novel and Place - A Study in Iraqi Novel Art, Small Encyclopedia (57), Ministry of Culture and Information Publications, Baghdad, 1980.
- Hilal, Muhammad Ghnaymi: Modern Literary Criticism, Dar Al-Awda, Beirut, 1987.
- Al-Hawari, Ahmed Ibrahim: The Contemporary Hero in Egyptian Novels, Publications of the Iraqi Ministry of Culture and Information, 1976.

Translated References:

- Bourdieu, Michel: Studies in the New Novel, trans. Farid Antonius, Awad Publishing, Beirut, 1st edition, 1971.
- Bornov, Roland, Othilie, Rial: The World of the Novel, trans. Nihad Al-Tikrali, ed. Fouad Al-Tikrali and Dr. Mohsen Al-Mousawi, General Cultural Affairs House, Baghdad, 1991.
- Watt, Ian: The Rise of the English Novel, trans. Younis Youssef Aziz, Small Encyclopedia (78), Al-Jahiz Publishing House, Baghdad, 1980.